

حج الحياة الحقيقية في الله في موسكو ، 2-10 أيلول 2017

كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم؟

المطران ماركوس جبريمدهين
أثيوبيا

المتميّزة فاسولا،

أصحاب النيافة والسعادة والسماحة، الآباء والأخوات الراهبات، وأعضاء الحياة الحقيقية في الله، والأصدقاء المدعوين، مع حفظ الألقاب.

طُلب إليّ أن احدثكم لمدة 10 دقائق في مسائل الحوار بين الأديان. وفيما أنا واقف أمامكم، أشكر الله الذي جَمَعنا نحن أبناءه، في هذه المناسبة الرائعة والمهمة، ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى السيدة فاسولا وفريقها لتنظيم مثل هذه المناسبات الجميلة ودعوتنا للمشاركة في هذا اللقاء. نشكرهم على عملهم الرائع.

أولاً، ما هو الحوار بين الأديان؟ إنّه يرمُزُ إلى التعاون والتفاعل البنّاء والإيجابي بين الناس من مُختلف الثقافات الدينيّة.

قال يسوع ، "سَلاماً أترك لكم، سَلامي أعطيكُم" (يوحنا 14: 27). السلام الذي نتلقاه من الله هو السلام الحقيقي وليس السلام الذي يعطينا إياه العالم. السلام أمر ضروري للجميع اليوم، ونحن المسيحيين مدعوين لِعَيشِ سلام المسيح ولأن نكون في الوقت نفسه فاعلي سلام.

والسؤال هو كيف يُمكننا أن نُعزِّزَ السَلامَ الحَقِيقِي في هذا العالم المُقسَّم وبيّن الديانات المنقسمة. إننا نَحْتَبِرُ الإنقسامات والخبث، والكراهية، والكبرياء، والعدائية، والإدانة، وانعدام الغفران، وقلة الإحترام، والنقد السلبي، وفقدان الحبّ الحَقِيقِي بين الدُول، والجيران، والعائلات، والجَماعات وبالدرجة الأولى بين مُختلف الطوائف المسيحية.

لماذا يقع هذا الخلاف، والارتباك، وهذه التناقضات، والعدائية بين أبناء الله /المسيحيين/. ألم يكن مُخطّط الله أن يعيش الجميع بسلام؟ ألم يُصَلِّي يسوع من أجل السلام والوحدة بين تلاميذه؟ ألم يقل يسوع "كلّما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ"؟ هل نعتقد أن يسوع يوافق على خلافاتنا وانقساماتنا؟ هل تَتَنَاقَضُ تقاليدنا الرسوليّة مع بعضها البعض أم أنه تفسيرنا الخاص لكلمة الله أم هو فَهْمٌ وقرار الآباء الأولين أن نتعبّد بطرقٍ مُختلفة ونَتَّبِعُ تعاليمنا الخاصّة؟

من الواضح أن الخلافات والمجادلات قد نشأت على مدى قرونٍ بين المسيحيين والمسلمين، وبين المسيحيين واليهود. أوّلُسنا إخوة في الله؟ أوّلُسنا خَلِيقته؟ أوّلُسنا ذُرّيّة

إبراهيم وعائلة الله الواحدة؟ أولسنا نحاول الوصول بِطُرُقنا الخاصة إليه، من خلال الإيمان والصلاة والعبادة؟ أفلا يُمكننا أن ننسى التجارب السلبية السابقة وأن نبذل جهوداً صادقة لتحقيق التفاهم المُتبادل من أجل مستقبل أفضل للجميع؟ ألا يمكننا نحن المسيحيون والمسلمون والبوذيون واليهود العمل معاً للحفاظ على السلام والعدالة والقيم الأخلاقية وتعزيزها؟ ألا يتحدث إنجيلنا وقرآننا مرّاتٍ كثيرةٍ عن الغُفران والمُصالحة؟ "لِكَي يَهْتَمَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالًا حَسَنَةً" (تيطس 3: 8).

قال البابا بولس السادس مرّةً: "نحن نُكِنُّ احْتِرَامًا كَبِيرًا لِلْمُسْلِمِينَ. أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ الْأَحَدَ، الْحَيَّ وَالْخَالِدَ، الرَّحْمَنَ وَالْقَدِيرَ، خَالِقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِي يَدْعُو خَلِيقَتَهُ إِلَى الْكَمَالِ".

ما الذي نراه الأفضل الآن للأجيال الحاضرة والأجيال المستقبلية؟ عندما نتحدث عن المسيحية، كان آباء الكنيسة يعتقدون أنّ الكنيسة كانت كما أرادوها أن تكون، ولا ينبغي أن تُلام على ذلك لأنّها كانت تسير على درب الإيمان الحقيقي. ولكن لسوء الحظ، فقد غدى ذلك الظلام، والبُعد، وخسارة الأرواح، والعزلة، والمزيد من الإرتباك بين الطوائف، وضاعف انقساماتها مئات المرّات. وهكذا فقد لَمَسَ أبناء الله في الوقتِ نفسه النِعَمَ والارتباك.

ولكن هل ما زلنا، نحن الجيل الحاضر، نشعُرُ بالمسؤولية جِبال إعادة النّظر في ذلك وفتح باب الحوار، والسلام، والوحدة والمُصالحة بين المسيحيين والمُسْلِمِينَ والبُوذِيِّين واليهود على أنّه الطريق الصحيح، وبذَلِ الجُهودِ اللازمة للقيام بما يُفْضِي إلى السلام. ألا يُمكننا أن نقومَ بأمرٍ مُشْتَرَكٍ في سَبِيلِ سَلَامِنَا وَوَحْدَتِنَا؟

وَنَحْنُ مُمْتَنُّونَ جِدًّا لِأَوْلِيكَ الَّذِينَ أَخَذُوا زِمَامَ الْمُبَادَرَةِ وَهُمْ يَعْمَلُونَ الْآنَ مِنْ أَجْلِ الْحَوَارِ بَيْنَ الْأَدْيَانِ، مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ وَالْوَحْدَةِ بَيْنَ الْأَدْيَانِ، وَالَّذِينَ يسَاعِدُونَنَا عَلَى التَّفْكِيرِ أَكْثَرَ فِي مَا لَدِينَا مِنْ قَوَاسِمٍ مَشْتَرَكَةٍ أَكْثَرَ مِنْهُ فِيمَا يُقَسِّمُنَا. وَنَحْنُ نَشْكُرُهُمْ عَلَى إِعْطَائِهِمْ هَذِهِ الْأَهْمِيَّةَ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَمَسَاعَدَتِنَا عَلَى التَّفْكِيرِ مَلِيًّا فِي انْقِسَامَاتِنَا وَكِرَاهِيَّتِنَا لِبَعْضِنَا الْبَعْضَ عَوَضَ اتِّبَاعِنَا، مُتَّحِدِينَ، اللَّهُ الْوَاحِدَ الْحَقِيقِي.

غالبًا ما يُنظر إلى القديس يوحنا بولس الثاني كشخصية رئيسية في فتح الحوار بين الجماعات الكاثوليكية واليهودية. فقد كان أول بابا يقوم بزيارة رسمية إلى كنيس، ويُقدِّم اعتذارات رسمية باسم الكنيسة الكاثوليكية للإساءات ضد اليهود على مر التاريخ. وأشار إلى اليهود على أنّهم "الإخوة الكبار" للمسيحية. قال: "نَحْنُ نَغْفِرُ وَنَطْلُبُ الْغُفْرَانَ". أليس هذا جميل؟

على الرغم من أن بوذا ولدَ قبل 500 سنة قبل المسيح، ولم يقل أيّ شيء عن الإله الواحد وكان يُؤْمِنُ بِالْهَةِ مُتَعَدِّدَةٍ، غير أنّنا نَتَعَلَّمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْجَيِّدَةِ الْمُشْتَرَكَةِ الَّتِي

نَتَقَاسَمُهَا مع هذا الدين، مِثْلَ أَنْ بُوذَا كَانَ مَهْتَمًّا كَثِيرًا بِالْأَوْضَاعِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَلَا يَزَالُ إِهْتِمَامَنَا الْمَشْتَرِكُ: السَّلَامُ وَالْعَدْلُ، وَهَذَا أَمْرٌ يَنْبَغِي تَشْجِيعُهُ.

نحن جميعنا متفقون أنَّ الدين والعقيدة اللذين نتبع ونمارسُ على وجه الخصوص هما الأفضل لكلِّ واحد منا، وهذا لا يعني أن لا نحترم بعضنا البعض، ونحِبُّ بعضنا البعض ونتعاون مع إخواننا وأخواتنا الذين يعبدون الله نفسه بطرق مُخْتَلِفَةٍ عَنَّا.

إنَّني أرى في النص التالي قَاعِدَةً مُلْزِمَةً لَنَا جَمِيعًا. فقد أُعْطِينَا فِي مَتَى 12:7 "القاعدة الذهبية"؛ "لذلك فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ". شَدَّدَ يَسُوعُ فِي خِلَالِ الْعِظَةِ عَلَى الْجِبَلِ عَلَى أَهْمِيَةِ التَّفَاهُمِ الْمُتَبَادَلِ وَالتَّعَاوُنِ مِنْ أَجْلِ التَّعَايِشِ السَّلْمِيِّ بَيْنَ أَتْبَاعِهِ.

وهو بِهذه الطريقة يقول لنا أن كُلَّ مَنْ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ اللَّهِ وَمِثَالِهِ لَا يَنْبَغِي تَجَنُّبُهُ، بَلْ يَجِبُ بِالْحَرِيِّ أَنْ يُعَامَلَ بِكَرَامَةٍ وَلَطْفٍ وَتَوَاضَعٍ وَاحْتِرَامٍ. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ أَنَانِيِّينَ بَلْ أَنْ نَفْتَحَ أَعْيُنَنَا لِنَرَى مَكَامِينَ الْقُوَّةِ لَدَيْهِمْ وَنُقَدِّرَ آرَاءَهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ عَوْضَ نِقَاطِ الضَّعْفِ لَدَيْهِمْ. يَجِبُ أَلَا نَنْتَقِدَ بِسَلْبِيَّةِ الدِّيَانَاتِ الْآخَرَى بِسَبَبِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَعْبُدُونَ بِهَا وَعَقِيدَتِهِمُ الْإِيمَانِيَّةِ خِلَالَ كِرَارَاتِنَا، فَمِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نَتَحَلَّى بِالصَّبْرِ، أَنْ نَغْفِرَ وَنُحِبَّ عِنْدَمَا نَجِدُ أَنْفُسَنَا قَدْ جُرْحْنَا أَوْ أُذِينَا وَنَسَامِحَ بِسَخَاءٍ عِنْدَمَا يُطَلَّبُ مِنَّا الْغَفْرَانُ. وَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَرْكِّزَ عَلَى الْاِخْتِلَافَاتِ الشَّدِيدَةِ بَيْنَ الْكِنَائِسِ كُلَّمَا دُعِينَا إِلَى الْحَوَارِ وَالتَّعَاوُنِ الْمَسْكُونِيِّ إِذْ يُمَكِّنُ أَنْ يَشْكَلَ ذَلِكَ عَقَبَةً أَمَامَ مَبَادِرَةِ السَّلَامِ. إِنَّهَا لِنِعْمَةٌ أَنْ نَشْجَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَأَنْ نَحْرِصَ عَلَى مَا لَدِينَا مِنْ سَلَامٍ وَتَنْمِيَةٍ مُشْتَرَكِينَ. إِنَّ مَا يُوَحِّدُنَا أَوْضَحَ بِكَثِيرٍ مِمَّا يُفَرِّقُنَا.

من الجيد أن نتوصلَ لِفَهْمِ بَعْضِنَا الْبَعْضَ مِنْ خِلَالِ تَعَلُّمِ قَبُولِ اِخْتِلَافَاتِنَا، وَالتَّغَلُّبِ عَلَى الْأَحْكَامِ الْمَسْبُوقَةِ فِي جَوْ مِنْ الْإِحْتِرَامِ الْمُتَبَادَلِ وَالْعَمَلِ مَعًا مِنْ أَجْلِ الْمَصَالِحَةِ وَالْخِدْمَةِ، وَتَشْجِيعِ الْحَقَائِقِ الرُّوحِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي الْأَدْيَانِ.

يُعَلِّمُ كُلُّ مِنَ الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ وَالْقُرْآنِ أَنَّ الرَّحْمَةَ وَالْعَدَالََةَ هُمَا إِثْنَيْنِ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ اللَّهِ. فَاللَّهُ رَحِيمٌ وَشَفِيقٌ، وَيُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَرْحَمَ بَعْضُنَا الْبَعْضَ. فَمَشِيئَةُ اللَّهِ لَنَا هِيَ أَنْ نَعِيشَ فِي سَلَامٍ وَاحْتِرَامِ مُتَبَادَلِينَ.

نحن مسيحيين ومسلمين، يهودَ وبوذيين لدينا أمورًا كثيرةً مشتركة، كمؤمنين وكبشر، فنحن نعيشُ فِي الْعَالَمِ نَفْسُهُ وَالْحَقَائِقُ نَفْسَهَا. نَعَمْ، يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْمَلَ مَعًا كَشُهُودٍ أَمَامَ الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ بَعْضَ النَّظَرِ عَنِ الْمَدَّةِ الَّتِي سَيَسْتَغْرِقُهَا السَّلَامُ لِيَسُودَ تَمَامًا عَلَى كَوَكْبِنَا. مَعًا يُمْكِنُنَا أَنْ نُعْلِنَ أَنَّ السَّلَامَ ضَرُورِيٌّ لِكَوَكْبِنَا وَنَبْدَأَ الْعَمَلَ دُونَ إِضَاعَةِ الْكَثِيرِ مِنَ الْوَقْتِ.

فبدون السلام، لا يُمكن أن يكون هناك تطور حقيقي، وبالتالي، لا حياة أفضل للشعوب، ولا مستقبل مشرق للأطفال. نحن نحتاج أن نتحد بالصلاة لأجل البلدان التي تعاني نتيجة لانعدام السلام؛ انهم بحاجة إلى صلواتنا وفعالنا المشتركة.

قدّم البابا فرنسيس في زيارته الأخيرة إلى مصر رسالة الوحدة والتسامح واللاعنف وقال لشعب مصر وللشيخ أحمد الطيب، إمام مصر الأكبر، "قولوا "لا" بوضوح لأي شكل من أشكال العنف، والانتقام والكرهية التي تَتِمّ باسم الدين أو باسم الله". وأمل أن نكون جميعنا متفقون على فحوى رسالته.

إلهنا مسالم وهو مصدر السلام، هو بطيء الغضب ومملوءٌ أناة ورحمة. ونحن بكل تأكيد نريد أن نعيش بسلام مع الله. ماذا يعني ذلك؟ أنا أدعوكم بكل تواضع إلى التأمل بكلمة الله لأن الله خلق هذا العالم بقصد أن يكون خاليًا من أي هجوم شيطاني ويكون مملوءاً سلاماً ولكن الخطيئة البشرية تعارضت مع مخطط الله، بدءاً بآبائنا الأولين.

إننا أبناء إله واحد لأن الله بادرَ إلى مصالحتنا ومُسالمتنا. ونحن نحتاج أن نُعزّز السلام والوحدة حيثما وجدنا وفي أي ظرفٍ كان. دعونا نبدأ ببناء السلام في داخلنا، فإن كُنّا نعيش بسلام مع إلهنا وإن كُنّا شعباً ملتزماً بالصلاة، فما زال بإمكان الله أن يستخدمنا كأداة لسلامه ليوصله حيثما تدعو الحاجة.

لدينا مثال بسيط وجميل كيف يستطيع مؤمنوا الكنيستين الشقيقتين الأرثوذكسية والكاثوليكية في قرية صغيرة أن يتحدوا ويعيشوا معاً بسلامٍ بجو من التعاون الجيد فيما بينهم. لدينا في النيابة الأسقفية لجيما بونغا Jimma-Bonga في إثيوبيا، وفي قرية "شابا" Shappa تحديداً، مسقط رأسي، كنيسة مسكونية كان يجتمع فيها سويلاً مرة أو مرتين في الشهر مؤمنون من المجموعتين على مدى السنوات الـ 30 الماضية، للعبادة والصلاة معاً، وللإحتفال معاً ومناقشة مختلف القضايا والبحث عن حلول مشتركة للمشاكل المشتركة. يسبرون معاً ويعملون معاً. أليس هذا جميلاً؟

خلال الحرب العالمية الأولى، حين أعلنت الدول العداوة بين الشعوب مدمرةً بعضها البعض في حربٍ مضطربة، وفي خضمّ القتال بين البلدين، أي بين فرنسا وألمانيا، تلقى الجنود أخباراً عظيمة بأن التاريخ كان 25 كانون الأول، وهو يوم السلام، اليوم الذي ولد فيه رئيس السلام يسوع المسيح، "عيد الميلاد". عند سماعهم بهذه البشرى العظيمة وضع الأعداء، من كلا الطرفين، سلاحهم جانباً، تعانقوا وتبادلوا علامة السلام، وأنشدوا سويلاً ترنيمة عيد الميلاد "لقد جاء الربّ فحلّ السرور في العالم" وأمضوا اليوم في الاحتفال سويلاً. أليس هذا رائعاً؟

السلام أمرٌ جوهريّ وقاعدة لكل شيء. فبدون السلام نسيرُ وسط الشكوك والارتباكات وحتى وسط المخاطر، ولكن متى كان لدينا السلام كان عندنا كلّ شيء وبخاصة يكون الله القدير إلى جانبنا.

أنشأ قادة الطوائف المختلفة بالتعاون مع حكومة إثيوبيا، البلد الذي أنتمي إليه، مكتب منتدى الأديان على المستوى الوطني والأبرشي، حيث يجتمعون بين الحين والآخر ويتناقشون حول التعايش السلمي بين الأديان والسير والعمل معاً من أجل شؤون البلاد

المشتركة. وهذا، بالنسبة لنا، مثال جيد يجب التشجيع عليه. نحن جميعاً بحاجة إلى السلام، فلنعمل معا من أجل السلام والوئام. ولنجعل السلام من أولوياتنا. خدمة الله تتطلب القناعة ونكران الذات.

المطران ماركوس جبريمدهين

أثيوبيا